

(٣) انظر حديث الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاورش في حكم التصوير في الإسلام (مجلة الهداية ، السنة الثالثة ، صفحة ٤٨٧ — ٤٩١) ، و تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لجامعة السيد محمد رشيد رضا جزء ٢ صفحة ٤٩٩ — ٥٠١ .

ولم يرد في القرآن الكريم ما يدل على تحريم التصوير أو إباحته وإن جاء في بعض الآيات الكريمة ما يشير إلى إباحته بالنسبة للنبي سليمان عليه السلام : « واسليان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسألنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ^(١) وجفان كالجواب وقدور راسيات : اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور » ^(٢) .

غير أن بعض الأحاديث النبوية الشريفة تناولت الكلام عن التصوير وحكمه ، وموقف النبي (ص) والصحابة منه . ويتعلق بعض هذه الأحاديث بتصوير الكعبة : ذلك أن الكعبة عندما أعيد بناؤها قبيل الإسلام زوقت دعائنها وسقفها وجدرانها من الداخل بصور ^(٣) تمثل بعض الأنبياء والشجر والملائكة ؛ ومن هذه الصور صورة كانت تمثل إبراهيم عليه السلام على هيئة شيخ يستقسم بالأزلام ، وصورة تمثل المسيح ومريم العذراء ^(٤) . ويستفاد من الأحاديث التي تعرضت للكلام عن هذه الصور أن النبي (ص) أمر عند فتح مكة بمحوها وإزالتها : فقد جاء في كتاب الحج من « صحيح البخاري » عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاتلهم الله أما علموا أنهم لم يستقسموا بها قط ، فدخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل » ^(٥) . وقد روى البخاري هذا الحديث أيضا في غزوة الفتح ؛ وقال الحافظ بن حجر في « فتح الباري » في شرح هذا الحديث من باب الغزوة المذكورة ما نصه :

(١) بمعنى التماثيل المخروطة والصور الملونة .

(٢) قرآن كريم ، سورة سبأ ، الآية ١٢ ، ١٣ .

(٣) بمعنى التماثيل والصور .

(٤) الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ؛ أحمد تيمور : التصوير عند العرب

صفحة ١١٩ .

(٥) صحيح البخاري : جزء ١ صفحة ١٨٣ .

« وقع في حديث جابر عند ابن سعد وأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ليححو كل صورة فيها فلم يدخاها حتى محيت الصور ؛ وكان عمر هو الذي أخرجها ؛ والذي يظهر أنه محاماً كان من الصور مدهونا مثلاً ، وأخرج ما كان مخروطاً »^(١) .

ولكن وردت أحاديث أخرى تفيد الإبقاء على صورة المسيح عليه السلام والسيدة العذراء ، واستثناءها من الحو والإزالة . ومن هذه الأحاديث ما روى عن ابن عائذ في المغازي أن صورتي عيسى وأمه عليهما السلام بقيتا حتى رآهما من أسلم من نصارى غسان فقال : « إنكما لبيلاذ غربة » ؛ فلما هدم ابن الزبير البيت ذهبتا فلم يبق لهما أثر . وروى عن ابن جريج أن بعضهم أدرك في الكعبة تمثال مريم عليها السلام وفي حجرها ابنها مزوقا ، وكان ذلك في العمود الأوسط الذي يلي الباب ؛ ثم ذهب في الحريق^(٢) .

ومع ذلك فلسنا نشك في أن النبي (ص) أمر بإزالة جميع الصور من الكعبة نظرا لاعتبارها من الأصنام التي جاء الإسلام لمحوها ؛ أمّا ما ذكر من أن بعض هذه الصور قد بقيت فقد يرجع ذلك إلى خفاءها على من محابها ، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » في شرح غزوة الفتح^(٣) .

وهناك مجموعة من الأحاديث الشريفة تناولت الكلام عن التصوير بصفة عامة : فقد أورد البخاري في باب التصوير^(٤) من كتاب اللباس في صحيحه عن

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جزء ٧ صفحة ٣٨ .

(٢) أحمد تيمور : التصوير عند العرب صفحة ٢ . وقد روى الأزرق في « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » أن النبي (ص) لما دخل الكعبة بعد فتح مكة قال أشية بن عثمان : « يا أشية امح كل صورة فيه إلا ما تحت يدي » . قال : « فرفع يدي عن عيسى بن مريم وأمه » . صفحة ١٠٦ — ١٠٧ . ومن الواضح أن خبر الأزرق لا يرق إلى مرتبة الأحاديث .

(٣) أحمد تيمور : التصوير عند العرب صفحة ٢ .

(٤) بمعنى التماثيل والصور ،

مسلم أنه قال: كنامع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صفته تماثيل ، فقال: سمعت
عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أشد الناس عذابا عند الله يوم
القيامة المصورون »^(١) . وجاء في باب « من كره القعود على الصور » من كتاب اللباس
في صحيح البخارى أيضا عن عائشة رضى الله عنها : أنها اشترت تمرقة فيها تصاوير ؛
فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل ؛ فقلت : أتوب إلى الله مما أذنبت
قال : ما هذه التمرقة ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها ؛ قال : إن أصحاب هذه
الصور يعذبون يوم القيامة : يقال لهم أحيوا ما خالقتم ، وإن الملائكة لا تدخل
بيتا فيه الصور »^(٢) . وجاء في باب نقض الصور من كتاب اللباس أيضا عن
أبي زرعة أنه قال : « دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى أعلاها مصورا
يصور ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومن أظلم ممن ذهب
يخلق كخلقى : فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرة . . . »^(٣) وأورد البخارى كذلك
في باب « ما ولى من التصاوير » من كتاب اللباس أن عائشة رضى الله عنها
قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة^(٤)
لى بقرام^(٥) فيه تماثيل^(٦) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وقال :
يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله . قالت :
فقطعنائه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين »^(٧) .

وجاء في صحيح البخارى في باب « من كره القعود على الصور » من كتاب

(١) صحيح البخارى جزء ٤ صفحة ٢٩ . المصورون هنا بمعنى صانعى التماثيل
وصانعى الصور .

(٢) صحيح البخارى جزء ٤ صفحة ٣٠ .

(٣) المرجع نفسه جزء ٤ صفحة ٣٠ .

(٤) السهوة هى الرف أو الطاق .

(٥) القرام هو الستر .

(٦) بمعنى الصور .

(٧) صحيح البخارى جزء ٤ صفحة ٣٠ .

اللباس عن بُسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة » . قال بُسر : ثم اشتكى زيد فعقدناه ، فإذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله ريب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ » فقال عبد الله : « ألم تسمعه حين قال إلا رقفاً في ثوب ؟ » ^(١) . وروى في باب « بيع التماثيل التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك » من كتاب البيوع عن سعيد بن أبي الحسن أنه قال : « كنت عند ابن عباس — رضى الله عنهما — إذ أتاه رجل فقال : « يا أبا عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التماثيل » ؛ فقال ابن عباس : « لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً . فربا الرجل ربوة شديدة ، واصفر وجهه . فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر : كل شيء ليس فيه روح . » ^(٢)

وجاء في « ربيع الأبرار » للزمخشري في حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، وفي سهوتي ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات ^(٣) لي فقال : ما هذا ؟ قلت : بناتي ؛ ورأى بينهن فرساً له جناحان قال : فرس له جناحان ؟ قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه » ^(٤) .

كما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وعليه مرط ^(٥)

(١) المرجع نفسه جزء ٤ صفحة ٣٠٠ .

(٢) المرجع نفسه جزء ٢ صفحة ١٩ .

(٣) البنات : لعب الأطفال من التماثيل الصغيرة .

(٤) أحمد تيمور : التصوير عند العرب صفحة ٨٢ .

(٥) المرط : كساء من صوف أو خز كان يؤتز به .

مرحل^(١) من شعر أسود ؛ وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى وعليه من هذه المرحلات ، وجاء في حديث السيدة عائشة : « ذكرت الأنصار فقامت كل واحدة إلى مرطها المرحل^(٢) .

وإذا تدبرنا الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالتصوير في ضوء ما وصلنا من الصور الإسلامية التي ترجع إلى العصور الأولى^(٣) ، وتمتد على طول التاريخ الإسلامي حتى العصر الحديث ، ثم في ضوء أهمية التصوير في حياتنا ، وفائدته التي لا يمكن إنكارها ، وأخيراً في ضوء روح الإسلام وطبيعته نلاحظ أن ما ورد بشأن تحريم صناعة التماثيل إنما كان يعنى صناعة التماثيل بقصد العبادة ، أى صناعة الأصنام : ذلك أن صانع التماثيل قبل الإسلام لم يكن يصنع التماثيل لمجرد الفن أو لخدمة العلم ، وإنما كان يصنعها لتكون أصناماً وأوثاناً تعبد من دون الله ؛ وإذا كان الإسلام قد نهى عن عبادة التماثيل فمن الأولى أن ينهى عن صنعها . ويؤيد ذلك أن ابن عباس قد أباح لصانع التماثيل — الذى جاء يستشير في أمر صناعته — أن يصور فقط الشجر وكل شيء ليس فيه روح^(٤) : أى أنه أباح تصوير ما ليس له قدرة ظاهرة حتى لا يظن المصور — وهو من طائفة يغلب عليهم عادة كثير من النزعات العاطفية — أنه قادر على الخلق ومنافسة الخالق ، وحتى لا يزعم إنسان أن الصورة لها أية قدرة أو قوة أو عمل ؛ وبذلك نزول شبهة الرجوع إلى عبادة الأوثان والأصنام ؛ لا سيما وأن القوم حديثو عهد بهذه العبادة .

كما يلاحظ أن بعض هذه الأحاديث إنما يدخل في باب حث النبي (ص) للمسلمين على التقشف ، وعدم الإسراف في الكليات ، حتى لا تشغلهم عن

(١) مرحل : أى عليه صور الرجال . وقرأ «مرجل» أى عليه صور الرجال .

(٢) أحمد تيمور : التصوير عند العرب صفحة ١٢ .

(٣) من ذلك عمالة عبد الملك بن مروان ، وغيفاء الجامع الأموى بدمشق ، وصور قصره عمر .

(٤) صحيح البخارى جزء ٢ صفحة ١٩ .

القيام بأعباء الرسالة التي كان عليهم أن يؤدوها ؛ وقد بدأ النبي (ص) في ذلك بنفسه ثم بأهله ؛ ويتجلى ذلك بشكل واضح فيما جاء في خطبة لعلي بن أبي طالب في وصف النبي (ص) : « ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة — لإحدى زوجاته — غيبه عني فأني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها » ^(١) . كما جاء في صحيح البخاري في كتاب اللباس عن أنس قال : كان قرام ^(٢) لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أميطي عني ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي » ^(٣) .

وهكذا يمكننا أن نقرر مطمئنين أن الإسلام قد أباح التصوير مادام بعيداً عن الوثنية ، وعن شبهة منافسة الخالق ، وعن تشييط الأمة عن القيام بواجبها وتحمل مسئولياتها ؛ والحق أن التصوير يتفق في ذلك مع جميع الأشياء المباحة الأخرى .

ومن المعروف أن المسلمين في العصور الأولى لم يتشددوا ضد التصوير ؛ كما يشهد بذلك استخدامهم في صدر الإسلام للأستار ^(٤) والوسائد ^(٥) ذات الصور ، والثياب المرقمة ^(٦) ، والمروط المرحلة ^(٧) ، واللعب المصورة ^(٨) ؛ وكما تشهد بذلك إباحة الارتزاق من صناعة تصوير ما ليس فيه روح ^(٩) ؛ وكما يستشف من الصور

(١) أحمد تيمور : التصوير عند العرب صفحة ١٦ .

(٢) القرام : الستر .

(٣) صحيح البخاري : جزء ٤ صفحة ٣٠ .

(٤) انظر صفحة ١١ .

(٥) انظر صفحة ١٠ .

(٦) انظر صفحة ١١ .

(٧) انظر صفحة ١١ و ١٢ .

(٨) انظر صفحة ١١ .

(٩) انظر صفحة ١١ .

المائة التي وصلنا بعضها، والتي كان الأمويون يزینون بها قصورهم في الصحراء^(١)، ومن صور الفسيفساء التي كانت تزین جدران المسجد الأموي بدمشق^(٢)؛ وكما يستدل من سك عملة إسلامية ذات صور^(٣). ولكن الفقهاء أخذوا بعد ذلك يبالغون في حظر التصوير؛ وقد عبر الزهري عن الرأي الذي أخذ يسود العالم الإسلامي في العصور الوسطى بقوله: «النهي في الصورة على العموم»، وكذلك استعمال ما هي فيه، ودخول البيت الذي هي فيه سواء كانت رقما في ثوب أو غير رقم وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتلئ أو غير ممتلئ»^(٤).

وليس من شك في أن تشدد المسلمين في العصور الوسطى ضد صناعة التصوير واتخاذها كان له أسبابه. وقد حاول بعض العلماء التعرف على هذه الأسباب فمنهم من أرجع التشدد إلى تأثير اليهود الذين دخل بعضهم في الإسلام^(٥)، ومنهم من أرجعه إلى التأثير بالحركة اللايقونية في الدولة البيزنطية التي نشأت في بداية الربع الثاني من القرن الثامن الميلادي^(٦) ومنهم من أرجعه إلى خوف الساميين بطبيعتهم من التصوير^(٧). ومن الواضح أن هذه الأسباب مفتعلة، وقد سبق أن فنّدها بعض العلماء في أبحاث سابقة^(٨). وفي رأينا أن تشدد المسلمين

(١) انظر الفصل الثالث.

(٢) انظر الفصل الثاني.

(٣) أقدمها عملة عبد الملك بن مروان.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (طبع دلهي جزء ٢ صفحة ١٩٩)؛ أحمد تيمور: التصوير عند العرب صفحة ١٢٠.

(٥) Early Muslim Architecture (K. A. C. Creswell) جزء ١ صفحة ٢٧١؛

(٦) Becker, Zeitschrift für Assyriologie جزء ٢٦ صفحة ١٩١؛ Hautecœur

et Wiet. Les Mosquées du Caire صفحة ١٧٤ — ١٧٥.

(٧) Viardot: Gazette des Beaux-Arts, 2me période جزء ١ صفحة ٥٥٦ — ٥٥٩؛

Babier de Meynard, Revue Critique, n. ٥. جزء ١ صفحة ٣٣٣ — ٣٣٥.

(٨) انظر أحمد تيمور: التصوير عند العرب. إخراج الدكتور زكي محمد حسن

صفحة ١٣٤ — ١٣٨.

في الصور الوسطى ضد التصوير إنما يرجع إلى مبالغة المسيحيين بصفة عامة في استخدامه ، لا سيما وأن التصوير كان يستخدم في ذلك الوقت بصفة أساسية في تجسيم المعتقدات الدينية المسيحية ، مما دفع المسلمين إلى التشدد في حظره . والحق أن الحرص على التعارض بين رجال الدين المسيحيين من جهة والفقهاء المسلمين من جهة أخرى يعزى إليه مبالغة المسلمين في تحريم التصوير ، كما قد يفسر موقف كل من الطائفتين إزاء كثير من المشاكل الاجتماعية في العصور الوسطى .

ومهما يكن من أمر فإن ما شاع عن تحريم التصوير في الإسلام كان له أثره على التصوير البحت وعلى المصورين في العصور الوسطى الإسلامية : إذ لم يبلغ المصور مرتبة رفيعة بالنسبة لغيره من المفكرين والأدباء في العالم الإسلامي ، أو بالنسبة للمصورين في الأقطار غير الإسلامية : ذلك أنه كان مغضوباً عليه من رجال الدين ، ومن ثم كان عرضة لسخطهم ولسخط المجتمع الذي كان يقوم أساساً على الدين . ومن هنا لم يعن المؤرخون بتدوين أخبارهم عنايتهم بغيرهم من الشعراء والأدباء والعلماء والمفكرين : وإذن فليس غريباً ألا يصلنا كتاب واحد عن المصورين على كثرة ما وصلنا من كتب الطبقات ، بل إنه لم يبلغنا — فيما نعلم — غير اسم كتاب واحد ذكره المقرئ في « خطه » وهو « ضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوقين من الناس »^(١) ، وكل ما وصلنا عن المصورين هو قليل من أخبارهم وردت في ثنايا الكتب .

وبالإضافة إلى ذلك فإن المجتمع نفسه لم يكن حريصاً على المحافظة على إنتاج المصورين : فكلم من صور طمست باسم الدين !! وكلم من رسوم شوهت نتيجة تحرير الفقهاء !! وكلم من كتب مصورة نفيسة أحرقت بدافع الدين !!!
وفضلاً عن ذلك كان المصور عادة يحكم عمله تابعاً للخطاط : عليه أن ينتظر إلى أن يفرغ الأخير من كتابة المخطوط ، ثم يشرع هو بدوره في توضيح النصوص

بالتصوير في حدود ما يتركه له من مساحة في صفحات المخطوط . ولقد كان المصور أقل مكانة من الخطاط الذي كان عمله يقوم بصفة أساسية على كتابة كلام الله تعالى ؛ بل كان أيضا أقل من المذهَّب الذي يقوم بتذهيب المصاحف السكرية .

وكان المصورين أنفسهم قد أثر فيهم ما يقابلون به من إهمال ، فلم يبذلوا كثيراً من الجهد في تمييز أساليبهم أو في طبع إنتاجهم بطابع ذاتي ؛ كما أنهم لم يضعوا أسماءهم على الصور التي كانوا يرسمونها ، مما أدى إلى أن الصور الإسلامية في العصور الوسطى قل أن تنسب إلى مصوريها ؛ ومن ثم جرت العادة أن يدرس التصوير الإسلامي في العصور الوسطى في ضوء الإنتاج والتصوير فحسب ، دون العناية بالمصورين أنفسهم — كما سبق أن قدمنا .

وكان من الطبيعي ألا يخطئ فن التصوير بما حظى به غيره من الفنون الإسلامية من عناية ورعاية . وكان من نتيجة ذلك أن منتجاته لم تتنوع من حيث الطريقة والصناعة والتنوع المعروف في منتجات التصوير في الفنون الأخرى ؛ فلم يقبل المسلمون في العصور الوسطى على اتخاذ المصورات أو اللوحات المعروفة في بعض الفنون الأخرى ، كما أنهم لم يعنوا كثيراً بتجميل مبانيهم بالصور الحائطية .

وفضلاً عن ذلك لم يستعمل التصوير لخدمة الدين : فلم يدخل في المساجد^(١) ، ولم يسهم في تجميل المصاحف ، ولم يستعمل في توضيح كتب الفقه أو الحديث أو غيرها من المؤلفات الدينية ، ولم يتخذ كوسيلة للإرشاد والتهديب وتعليم الدين . حقاً لقد وصلنا بعض الصور التي تمثل موضوعات دينية : كصور بعض الأنبياء ، أو كالصور التي تمثل بعض الحوادث الدينية مثل الإسراء والمعراج ؛ وقد حظيت

(١) صور الفسيفساء بالمسجد الأموي بدمشق لا تشتمل على صور كائنات حية . انظر الفصل الثاني .

هذه الصور بعناية مؤرخى الفنون ، وذلك بحكم مخالفتها للاتجاه العام فى التصوير الإسلامى ، وبحكم ما فيها من استثناء للقاعدة .

غير أن بعد التصوير الإسلامى عن الدين هياً له مزية لم تنهياً للتصوير فى الفنون الدينية الأخرى إلا فى عصور متأخرة ، إذ جعله مدينياً فى طابعه ينظر إليه كفن من فنون الدنيا لا كعمل من أعمال الآخرة ؛ ومن ثم كان أقرب من غيره إلى الفسكرة الفنية الحالية ، كما صار ميدانه الحياة الدنيا بما فيها من مناظر طبيعية ، وحوادث إنسانية ، وأعمال يومية ، وحياة ريفية .

ولقد تميز التصوير الإسلامى منذ البداية بالإقبال على رسوم الطبيعة البهتة التى لا تتمثل فيها الرسوم الآدمية أو حتى أحياناً الرسوم الحيوانية — كما هى الحال فى صور الفسيقساء فى الجامع الأموى بدمشق^(١) . وربما ترجع العناية بهذه الصور الطبيعية إلى أن رجال الدين فى العصور الوسطى لم يخذوا غصاصة فى تصوير ما ليس فيه روح^(٢) ، كما أن الإسلام قد دعا إلى تأمل الطبيعة ، وإلى تدبر قدرة الله الذى خلقها فسواها^(٣) « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت »^(٤) .

وفضلاً عن ذلك يجب ألا تغفل هنا تأثير الفن الإسلامى فى بعض عصوره بالاتجاهات الطبيعية فى الفنون الأخرى ، ولا سيما فى الفن الصينى الذى ظهر تأثيره بشكل واضح منذ أن دخل التتار فى إيران . كما يلاحظ أن بعض التصاوير الإسلامية خلت من تمثيل الإنسان لأنها رسمت لتوضح نصوصاً لا تتصل بحياة الإنسان مباشرة : كما هى الحال بالنسبة للتصاوير التى تزوق كثيراً من مخطوطات كتاب « كلىة ودمنة » الذى تدور أقاصيصه حول الحيوان ؛ ومن ثم جاء معظم صورده خالياً من الرسوم الآدمية .

(١) انظر الفصل الثانى

(٢) انظر صفحة ١٣ .

(٣) قرآن كريم ، سورة الفاشية ، الآيات ١٧ — ٢٠ .

ومهما تكن الأسباب التي أدت إلى العناية برسوم الطبيعة فقد استطاع المصورون المسامون أن ينتجوا صورا طبيعية رائعة . ومما يبعث على الدهشة أن بعض هذه الصور ليست مجرد صور وصفية ، بل إن فيها في كثير من الأحيان تعبيراً عن أحاسيس الفنان ومشاعره إزاء المناظر الطبيعية المختلفة .

وبالإضافة إلى هذه الاتجاهات التي وضحت في التصوير الإسلامي تميزت الصور الإسلامية من حيث الأسلوب ببعض المميزات العامة . ومن أهم هذه المميزات البعد عن تصوير الواقع وعن تقليده تقليداً حقيقياً ، وربما يرجع ذلك أيضاً من بعض الوجود إلى التعاليم الدينية التي تنفر من مضاهاة خالق الله^(١) ؛ ومن ثم لم يعن المصور المسلم بتصوير عناصره كما يراها في الطبيعة ، ولا بوضعها في وضع واقعي بالنسبة لغيرها من العناصر : فجاءت الصورة خالية من التجسيم ومن العمق ومن المنطقية . وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت الصورة ذات طابع زخرفي سواء في وحداتها أو في تصميمها كما رسمت عناصرها المختلفة من أشخاص وحيوان ونبات وعمائر رسماً محورا قد لعب الخيال فيه دوراً كبيراً ، بحيث صار لا يتفق مع العقل أو الحقيقة أو الواقع .

ويجب ألا تعتبر هذه المميزات العامة من المساوىء أو من المحاسن : ذلك أنها لا تعدو أن تكون نوعاً من الأساليب العامة التي تتميز بها بعض الفنون ؛ بل قد تكون طابعاً عاماً لبعض العصور أو الأقاليم أو حتى بعض الفنانين . كما أنها ليست إلا طريقة من الطرق قد يحسن استخدامها فتأتي الصورة جميلة ، وقد يساء استعمالها فتصير الصورة قبيحة . والحق أنه قد أحسن استخدام هذه الطريقة في كثير من الصور الإسلامية سواء في ذلك صور الفسيفساء أو الرسوم المائية على الجص أو التماثيل في المخطوطات .